

النار والسيف في السودان

منقط المخرطوم . موت المهدي . حكم الخليفة

لما بلغ المهدي ما حل بهكس باشا ور- الله علي ما ذكرناه في الجزء الماضي علم ان بلاد السودان كلها صارت في قبضة يده فبعث خالدًا (زوقل) الى دارفور وكرم الله الى مديريةته ببحر النزال ودان له شرق السودان وصدق مسكانه دعوته وجاهدوا في سبيلها . ولقلب صهره ولد بصير علي الجزيرة بين البحر الازرق والايض . هذا كان حال السودان لما بلغ غوردون مدينة بربر في ١١ فبراير (شباط) سنة ١٨٨٤ . ولما بلغ المخرطوم بعد سبعة ايام نشر منشورًا جعل فيه المهدي سلطانًا علي كردفان وبعث اليه بالهدايا وطلب منه اطلاق الاسرى وابعاح النخاسة . قال سلاتين ولو كان مع غوردون قوة حربية تحمي ظهره لرضي المهدي بذلك ولكن لما بلغه انه جاء المخرطوم وحده مع اركان حربه استغرب امره وانخسف به فرد له الجواب يدعوه الى التسليم

وكان عبدالله التعايشي مشيرًا للمهدي ومدبرًا لاموره كما قدمنا وكان المهدي يعتمد عليه في كل الامور ويسمى برأيه فغاظ ذلك اقرباءه وجعلوا يكيدون له المكابدة فشكاهم الى المهدي وطلب منه ان ينشر فضله علي رؤوس الاشهاد فنشر المنشور الآتي

بسم الله الرحمن الرحيم اعلموا يا نصاري ان نائب الصديق (ابي بكر) امير جنودنا المثار اليه في رؤيا النبي هو السيد عبدالله بن السيد حمد الله هومني وانا منه ناكرموه كما تكرموني واخضعوا له كما تخضعون لي وثقوا به كما ثقون بي واعتمدوا علي كل ما يقول ولا تخالوه في عمل فان كل ما يعمل انما يعمل باسم النبي او باسمي . واذا اراد الله ونيته شيئًا فليس علينا الا الطاعة ومن ارتاب في ذلك فهو كافر مجرور . الى ان قال " خليفة عبدالله هو امير المؤمنين وهو خليفتي ونائبني فثقوا به واطيعوا اوامره ولا ترتابوا في شيء مما يقول " . فصار الخليفة عبدالله من ذلك الحين الامر الناهي في كل الامور

وقد قلنا ان سلاتين جاء المهدي ويا بعه فامر المهدي ان يكون في خدمة هذا الخليفة وياتر باوامره . ويظهر لنا ان الخليفة كان يعلم مقدرة سلاتين علي قيادة الجيوش وادارة البلاد وكان يرد ان يستخدمه لذلك . ولو خدمه سلاتين بالهمة والاخلاص كما خدم الحكومة

المصريّة نكان اعظم رجال السودان الآن . نعم ان الخليفة عدوّه ونكته لو رأى الاخلاص من سلاتين ما ناله منه مكروه . اما سلاتين فكان يكرهه لخبثه وغدوره وكان يحسب ان ارتباطه بخدمة الحكومة المصريّة يقضي عليه بمعادة اعدائها ولو نال منهم كل خير وهذا علة ما حل به من الرزايا وهو في اسر المهدي كما سيبي .

ولما رأى غوردون ان المهدي لم يحنل بمشوروه بل دعاه الى التسليم عزم على مقاتله منتظراً المدد من الحكومة المصريّة وكان المهدي قد امر الحاج محمداً ابا جرجا على الجزيرة وامره ان يحصر الخرطوم بفرج اليه غوردون باشا وواقع به واشحن في رجاله . وبلغ الخبر سلاتين فدس كربه وايقن بقرب النجاة . ودعاه الخليفة الى بيته تلك الليلة وعناه معه ثم سأله عمماً بلغته من امر ابي جرجا فانكر انه سمع شيئاً فقال له الخليفة " ان غوردون باغت الحاج محمداً (ابا جرجا) برأ وبجرأ وانشأ جدراناً لمراكبه تصد رصاص الانصار وهو رجل داهية ولكن سيحل به عقاب الله . واقد ابتعج بهذا المصر على غرة منه لأن الله انما ينصر المؤمنين وسحل به تقمة الله قريباً . والحاج محمد ليس بالرجل الذي يقوى على قهره ولذلك سيرسل المهدي عبد الرحمن ولد النجومي لحصاره " . فقال سلاتين " عسى ان لا تكون خسارة الحاج محمد كبيرة " فقال الخليفة " لا حرب بلا خسارة ولكن التفاصيل لم تبغني حتى الآن " . وكانه خاف العواقب فزاد في اكرام سلاتين

وكان اعدائي الخرطوم يظنون ان غوردون باشا انما جاءها ليخرج منها بالحامية فرايهم امره وفشا داه الخيانة في ضباط الجيش فحاک بعضهم في مجلس عسكري وقتلهم . وقسم المهدي جنوده ثلاثة اقسام وجعل كل قسم منها تحت امر خليفة من خلفائه الثلاثة وجعل الخليفة عبد الله رئيساً عليهم باسم رئيس الجيش واعطاه راية زرقاء . واعطى الخليفة علياً ولد حلو راية خضراء والخليفة محمد شريف راية حمراء وهي راية الاشراف . وكان يتعرض جنود كل جمعة فتصطف جنود الخليفة عبد الله راياتها الزرقاء متجهة إلى الشرق وجنود الخليفة علي ولد حلو راياتها الخضراء متجهة إلى الغرب وجنود الاشراف راياتها الحمراء متجهة إلى الشمال . اي تستلم الجنود كلها في مربع له ثلاث اضلاع فيدخل المهدي بجاشيته من فرجة الضلع الرابع ويدور عليهم راكباً وهو يقول الله يبارك فيكم وهم يحيونه بالهتاف . وكانوا يقولون انهم يشاهدون النبي راكباً معه ويسمعون اصواتاً من السماء تناديه وتسنزل له ولانصاره البركات ويرون الملائكة تظللهم باجنحها انى غير ذلك مما يخفيه تخيلة الشرقي ولا يمسر تصديقه على الجهلاء ولما انقضى شهر رمضان ادعى المهدي ان النبي ظهر له وامره بفتح الخرطوم . فاسر

امراءه كهم بالحلة عليها ومن يتخلف منهم استحل ماله فسارت تلك الجموع كأنها سيل العرم وفيما هي سائرة اتبل عليها اوليشر باين الرحالة الفرنسي وكان قد شاع خبر قدومه قبل ذلك وقال البعض انه امبراطور فرنسا والبعض انه من اقارب ملكة الانكليز . وكان قد لبس جبة واعتم بعمامة كالدرراو يش فاحضروه الى الخليفة فدأله عن غرضه فأخذ يتكلم بالعربية رطانة لا تفهم فقال له الخليفة "تكلم بلسانك مع عبد القادر (اي سلاتين) وهو يترجم لنا . فنظر باين الى سلاتين وحياه بالانكليزية وسأله عما اذا كان يتكلم الفرنسية فقال له " سلاتين " اسمي سلاتين تكلم في ذلك الآن وبعده تكلم على انفراد " فرأب الخليفة ذلك وانتهرها وقال " اريد ان اعرف ما هو غرضه " . فقال سلاتين " انما قلت له ان يجبرك بمراد صريحاً ولا يخني شيئاً لان الله اعطاك واعطى المهدي معرفة الغياير . وكان حسين باشا خليفة حاضراً فقال " صدقت اطال الله عمر الخليفة " ثم التفت الى سلاتين وقال " لقد احسنت في تنبيه الرجل الى هذا الامر " فسر الخليفة من الاطباب بمدحه وقال لسلاتين " اجتهد لكي تكتشف بواطنه "

واخذ باين يتكلم بالفرنسية فقال " اسمي اوليشر باين وانا فرنسي وقد احببت السودان من صغري وكل اهل وطني يحبون اهالي السودان مثلي . ونحن في اوربا على خلاف مع الانكليز الذين احتلوا مصر وارسلوا غوردون احد قوادهم الى الخرطوم وقد اتيت لكي اعرض عليكم مساعدتي ومساعدة امي " . فقال له الخليفة " وما هي المساعدة " فاجاب " اما انا فاساعدكم بازاي فقط واما الامة الفرنسية فتساعدكم بالمال والاسلحة " . فقال له الخليفة " آنت مسلم " فقال " نعم منذ زمان طويل وقد جاهرت بذلك سيف الايض " ثم ذهب الخليفة ليخبر المهدي بذلك وبني سلاتين و باين وحسين باشا الخليفة فقال حسين باشا لسلاتين بالعربية " أمن السياسة ان يعرض المال والاسلحة على اناس غرضهم قتل البشر ونهب اموالهم وسي ناسهم وبناتهم وانتم اذا اشترى واحد منا عبداً اسود فلما يفضل على الحيوان الا عجم قلتم ان ذلك اثم فظيغ وطأقتونا عتاباً صارماً " . فلم يجز سلاتين جواباً

ثم عاد الخليفة وامره بالوضوء لكي يصلوا وراه المهدي فتوضوا وذهبوا الى المصلى واتي المهدي وقد لبس جبة بيضاء معطرة وكار عامته وكل عبيده وكأنه سر بوقود باين عليه فاراد ان يدعته بحسن طاعته . ثم جلس على سجاده ودهاه اليه ورحب به وامر سلاتين ان يترجم بينهما فقال باين كما قال اولاً فاجابه المهدي لقد علمت ما تقول ولكنني لا اعتمد على الناس بل على الله ونبيه . انت من قوم كفار فلا يمكنني ان تحالف معهم . وجمونة

الله سأل كل أعدائي بواسطة انصاري الابطال وصفوف الملائكة التي يرسلها لي النبي .
ولما قال ذلك حثف الجميع باصوات البشر والسرور . ثم قال لابن لقد قلت أنك تحب ديننا وأنه
الدين الحق فهل انت مسلم . فقال باين نعم ثم قال كلمة الشهادة بصوت جهوري . ناعطاه
المهدي يده فقبلها وصلوا وعادوا إلى خيامهم

ولما وقف باين على حقيقة احوال المهدي ودان ان يعود ولو بجني حنين واحنال سلاتين
على جبل الخليفة يسبح له بانعودة فلم يسبح . ثم مرض باين بالتيغوس فقام سلاتين على الاعتناء
به ولما اشتد عليه المرض استدعى سلاتين وقال له "ند دنا الاجل فاشكرك لاجل اعنائك بي
واهتمامك بامري . وآخر معروف اطلبه منك هو انك اذا نجوت من ايدي هؤلاء البرابرة
واتيت باريس فاخبر زوجتي واولادي النساء اني كنت افتكرهم وانا على حافة القبر ."
ثم اخذ بيكي ويتخب . وحملوه في اليوم التالي على جبل فوقع عنده وقضى نحبهُ ودفن في
تلك القنار

ولما قرب المهدي بجيوشه من الخرطوم جاءه الشيخ محمد شريف استاذة الذي طرده من
حلقتة وهو نائب اليه عمماً بدانته فرحب به واكرمه اكراماً عظيماً فاطاعه جميع اتباع هذا
الشيخ واعترفوا بدعوتيه . ولما صار على يوم واحد من الخرطوم استدعى سلاتين وقال له
اكتب الى غوردون ان يسلم فيسلم هو ورجاله واخبره اني انا المهدي الحقيقي وانه ان ابى
التسليم حاربناه وكلنا وانت تحاربة معنا بيدك والتمصر لنا وقل له انك انما تحبوه بذلك
حقناً للدماء

فاعذر سلاتين عن ذلك وقال ان قلت له انك المهدي الحقيقي واني احاربة معكم لم
يصدقني ولكني اكتب اليه ان رجالك اكثر من رجاله واقوى وانه ان حاربكم دارت الدائرة
عليه والنعمة بالتسليم . ففرضي المهدي بذلك لكن سلاتين اخلف الوعد فكتب الى غوردون
يشدد عزائمه وقص عليه تاريخ تسليو كأنه قائم في مجلس حربي يدافع عن نفسه ثم طلب منه
ان يخال في تحليصه من يد المهدي بان يكتب اليه بالبرية يطلب منه ان يقابله في ام
درمان لكي يتذكر معه في شروط الصلح فينجو من يد المهدي . وكتب الى قنصل النمسا
في الخرطوم يدأله عما شاع من عزم غوردون على التسليم مخافة ان يكون صحيحاً فيكون في
استجارته يد كاستجير من الرضاء بالنار لانه اذا هرب الى الخرطوم ثم سلم غوردون فالمهدي
لا يعني عنده . وارى المهدي الكتابين فامر ان يرسلهما مع رسول . وجاءه كتاب من قنصل
النمسا بعد ذلك يخبره به بوصول كتابه ويدعوه الى ام درمان (طاية راعب بك) لكن

غوردون لم يكتب له . والظاهر ان احد جواسيس المهدي في الخرطوم اطّلع على ما كتبه سلاتين وبعث بخبر المهدي برفدها للمهدي ليلاً ووضع القيود في رجليه وعقده حتى كاد لا يستطيع الحراك وطرحه في سجن المجرمين . وزاره الخليفة تلك الليلة وقال له انهم وضعوه في التيود لانهم ارتابوا فيه . ويظهر من كلام الخليفة انه بلغ مضمون ما كتبه سلاتين ولكنه لم يوضح ذلك إما تجاهلاً وإما ظناً منه ان ما بلغه قد يكون وشاية . اما سلاتين فيعتقد ان المهدي لم يعرف ما كتبه الا بعد فتح الخرطوم . ولا تنصب القارئ بوصف ما اني سلاتين من التهمة والعذاب في سجنه . وفيها هو في اشد الضنك والسلاسل والقيود في يديه ورجليه وعنقه اتوه برأس غوردون باشا في منديل وأروه اياه وقالوا له هاك رأس عمك الكافر

وكان المهدي قد قبض على رسالة من غوردون يقول فيها عندي عشرة آلاف مقاتل واستطيع البقاء في الخرطوم إلى آخر يناير . فاق الخليفة بهذه الورقة إلى سلاتين في سجنه لكي يقرأها له فادعى سلاتين انها مكتوبة بالارقام وانه لا يستطيع حلها وكان ذلك في اواخر ديسمبر . وجاءه رجل يرناني في اليوم التالي واخبره ان طليعة الجنود الانكليزية الآتية لنجدة غوردون قد بلغت الدبة قاصدة التهمة وان المهدي امر ان يجتمع كل البرابرة والجمالين في التهمة بقيادة محمد الخير وشد الحصار على الخرطوم وجاءه المدد من محمد خالد . وكان فرج الله باشا في ام درمان تخارب المهدي حتى لم يبق عنده شيء من الزاد والميرة فاشار اليه غوردون ان يسلم فسلم وكان ذلك في ١٥ يناير ولم تكذب جنود المهدي تدخل ام درمان حتى انتهت عليها قتال الخرطوم فاضطرت ان تخرج منها

وكانت غوردون قد ارسل خمس سفن من سفن البخارية إلى التهمة بقيادة خشم الموس وعبد الحميد ولد محمد لكي تنتظر الجيوش الانكليزية فيها وكان واثقاً ان النجدة تأتيه قريباً ولهذا لم يفتّر بما عنده من الزاد فلما انطأت النجدة وكاد الزاد يفرغ من الخرطوم اباح للذين يريدون الخروج منها ان يخرجوا ولو فعل ذلك قبل ان قلّ الزاد لامكنه ان يحفظ المدينة الى حين وصول النجدة ولكن شفقت على المستضعفين اوردت واوردت جنوده المهالك

وبعد ستة ايام من تسليم ام درمان اشتد البكاء والنوح في مخيم المهدي فعرف سلاتين ان خطباً عظيماً حل به لانه ينهى اتباعه من البكاء على من يقتل في الجهاد . ثم علم ان طليعة الجنود الانكليزية انقبت بجنود البرابرة والجمالين وغيرهم من جنود المهدي في ابي ظليج وقتلت الوفاً منهم وفي جملة الذين قتلوا موسى ولد حلو اخو الخليفة علي واكثر الامراء الذين كانوا مع رجال المهدي . ثم انتصرت الجنود الانكليزية في وقتين اخرين وبلغ المهدي ذلك

نحاف العاقبة واجتمع بقواده وفرارهم على بذل كل الجهد في فتح الخرطوم قبل وصول الجنود الانكليزية وخرج هو وخلفاؤه في الرابع والعشرين مساءً وقطعوا النهر وجعل يحث رجاله على الجهاد ويعدم بفرودس العمى وامرهم ان لا يسيحوا ولا يجلبوا بل يهاجموا المدينة صامتين حتى لا يشعر بهم احد ثم قفل راجعاً . ففعلوا كما قال لهم وهاجموا المدينة صباح اليوم الخامس والعشرين وكانوا يعملون جانباً متبديماً من حصنها على البحر الايض وحايته من الاهالي الجياع الضعاء نفاضوا نداءً وهاجموها من تلك الجهة فهرب الاهالي من وجههم حالاً وكانت بقية جنود المهدي محيطة بالمدينة من سائر الجهات تشغل الحامية فلم تدر الآ والوف من العرب قد دخلوها من تلك القرية واعملوا السيف في اهلها فانحلت عزائم الجنود ورووا سلاحهم من ايديهم وفتحت ابواب المدينة حالاً ودخلها الدراويش وهجدوا على سراي الحكومة ووضعوا السيف في من فيها . ولاقاهم غوردون على سلم الديوان وقال لهم اين سيدكم المهدي فطعنوا واحداً منهم برمح فخر على وجهه ولم يفه بكلمة ثم جرّوه إلى ساحة السراي وقطعوا رأسه وارسلوه الى المهدي وجعلوا يقطعون بدمه ارباباً ويخضبون سيوفهم بدمه . ولما اوصلوا رأسه الى المهدي قال لهم "كنت اود ان تأتوني يد حياً" مدعيًا انه كان يأمل ان يسلمه لانكليز ويستبدل به احمد عرابي فيساعده على فتح مصر . ومن رأي سالطين ان ما اظهره المهدي حينئذ من الاسف على قتل غوردون لم يكن صحيحاً وانه لو كان يريد استحياءه ما تجاسر احد على قتله . ومن رأيد ايضاً ان غوردون كان يستطيع ان ينجو بنفسه لو اراد النجاة لان السفينة امعيلة كانت على ثلثة يرد من السراي وبقي ربانها في انتظاره مدة طويلة

اما الفطاع التي ارتكبها رجال المهدي في الخرطوم فما يعجز القلم عن وصفه . ويقال جملة انهم لم يسيحوا الا العبيد والجواري وبعض النساء الحسان . وقتلوا كل مصري رأوه وكان العبيد نصراء لهم على اسيادهم . مثال ذلك ان الخواجه فتح الله جهامي السوري كان من كبار الاغنياء في الخرطوم وكان عنده خادم ربه منذ كان ولداً صغيراً واعتنى به كأنه ابنه فلما اشتد الحصار جمع امواله وخباها في زاوية من زوايا بيته ثم قال لهذا الخادم لقد ربيتك واعتنت بك منذ كنت طفلاً وقد علمت الآن ان لك اقارب عند المهدي فاذهب اليهم فان نجت الخرطوم وأفرج عنها فعد اليانا وانت على ما كنت عليه من المعزة وان كانت الغلبة للمهدي فانظر منك ان تجازيني على عتايي بك . فمضى الخادم على هذا الوعد ودخل الخرطوم يوم فتحت مع بعض اقاربه واتى بيت سيده وترع الباب وقال له افتح فاني انا ولدك وخادمك محمد ففتح له وكان اول شيء فعله هذا الخادم الامين انه طعن سيده في صدره فالتفاهد

صريعاً وحجم مع افاريد على المكان الذي فيه اموال سيده ونهبها
 قال سلاتين لواردت وصف الفظائع التي حدثت في ذلك اليوم الرهيب المأثمة بجلد
 كبيراً . والذين نجوا من القتل لم يكن نصيبهم افضل من نصيب الذين قتلوا لان الدراويش
 عذبوهم عذاباً مبرحاً حتى يدلوهم على الاماكن التي اخفوا فيها اموالهم فكانوا يجلدون الرجل
 مثلاً حتى يتروق جلده وتندلى قطع منه كقطع الثوب الممزق وكانوا يعذبون النساء الكبار
 ايضاً على صور شتى تشع منها الابدان ويأبى ذكرها قم الاديب اما النتيات فلم يُعذبن بل
 أرسلن الى المهدي فاختر الجليات منهن لنفسه وفرق الباقيات على اخلفاء والامراء حتى
 امتلأت بيوتهم منهن . ثم عبر المهدي وامراؤه الى المدينة ونزلوا في قصورها وانقسموا في
 الشهوات اياماً متوالية حتى فرغت نفوسهم عنها

وبعد يومين من فتح الخرطوم وصل السر تشارلس ولسن وبعض الجنود الانكليزية الى
 جزيرة توتي امام الخرطوم على سفينتين من السفن التي ارسلها غوردون مع خشم الموس وعبد
 الحميد محمد وكانوا قد سمعوا بدقوط الخرطوم وقتل غوردون باشا فلما رأها بعيونهم وتحققوا
 ما سمعوه انقلبوا راجمين وكانهم قالوا ان الغرض الذي اتت الحملة لاجله وهو اتقاذ غوردون
 قد فات فتمعود ادراجيا . واتقى عبد الحميد ريان احدي السفينتين مع رئيسها على الحرب
 فرطها ليلاً وفرّ وجاءا المهدي فرحّب بهما وخلع جينته على عبد الحميد ورد له النساء
 اللواتي سبين من اهله . وسار السر تشارلس ولسن برجاله في السفينة الثانية (يردن)
 فجنحت بهم على الرمال ثم اتت السفينة صافية لتجدتهم يحاول الدراويش صدها فابلى رجالها
 فيهم وقتلوا قائدهم احمد ولد فيض ونجا السر تشارلس ولسن ومن معه . ولما رأى ولد التجوي
 ذلك وكان المهدي قد بعثه لخدمة حامية الممتة قال لقومه اذا كان غرض الانكليز اخذ
 بلادنا امتنعنا عليهم وحاربناهم واذا كان قصدهم الرجوع من حيث اتوا فلا داعي لحربهم .
 فابطأ في سيره ولم يصل الممتة الا بعد ابتعاد الانكليز عنها

ولما بلغ المهدي ان الانكليز تركوا السودان طابت نفسه وابقن ان البلاد صارت له
 فجمع رجاله وقال لهم ان الله ثقب ما مع الانكليز من القرب فاهربق المله منها وماتوا عطشاً
 وزار الخليفة السنين بعد حين وكانته كان في يوم من ايام نعيم فاطلق بعض المسيحيين
 وسأل سلاتين عن حاله حسب عادته بقوله " عبد القادرات طيب " بصوت الاستفهام
 فقال له ان اذنت لي اخبرتك عن حالي تماماً . فجلس وقال له قل ما بدالك فقال يا سيدي
 " انا من امة غريبة وقد استجرت بك فاجرتني . والانسان عرضة للخطا وهو يخفى الى الله

والى الناس وقد اخطأت ولكني الآن اتوب واندم على كل ما فرط مني اتوب الى الله ونبيي
وها انا امامك عارياً جائعاً باللاس والقيود انام على بساط الارض لا فراش ولا غطاء
منتظراً العفو فان كانت مشيتك يا مولاي ان ابقى على هذه الحال فاسأل الله ان يقويني
على احتمالها بالصبر

فتأثر الخليفة من حُدا الكلام وائى امره لا يتأثر منه ولو كان قلبه من الحديد وقال له
انك من يوم آيت من دارفور قد بذلت جهدي في مرضاتك ولكن قلبك بعيد عنا . وقد
ابقيت عليك لانتك غريب ولا لكنت الآن في عداد الاموات . فان كانت توبتك حقيقية
فقد عفوت عنك ثم امر السجبان بزرع القيود فزعمها . وقرّبه الخليفة اليه بعد ذلك وطلب منه ان
يعد نفسه واحداً من اهل بيته . ومن رأي سلاتين ان الخليفة لم يكن يحبه ولا يثق به ولم
يكن له اقل فائدة من خدمته ولكنه انما اراد بقاءه بين اتباعه لكي يرى الملا ان مدير عموم
دارفور صار من جملة خدمه

ومرض المهدي في ذلك الحين ولكن لم يمبأ احد برضه اولاً لانه طالما ادعى ان النبي
اخبره بانهُ سينتج مكة والمدينة واورشليم ثم يموت في الكوفة بعد عمر طويل . ولكن مرضه كان
التيفوس فاشتد حالاً ولم تمض ستة ايام حتى بس اقاربه من شفائه ولما ايقن بدنو الاجل
قال للذين حولته " ان النبي اخثار الخليفة عبدالله ليخلفني بعد موتي فاطيعوه كما كنتم
تطيعوني " ثم تشهد ووضع يديه على صدره واسلم الروح . وكان الخليفان الاخران واقارب
المهدي حضوراً فبايعوا الخليفة عبدالله فوق جثته

وانتشر خبر موت المهدي حالاً ونعى الخليفة عبدالله الناس عن البكاء واقنعهم ان المهدي
اشتاقت الى الله فذهب اليه بارادته لكنهم بكوه واعلوا ثم غسلوه ودنوه وبايعوا الخليفة عبدالله
وكان المهدي يأمر بالزهد في الدنيا وينهى عن الملاذ وقد ابطال الرتب والناصب وساوى
بين الفقراء والاغنياء واخثار الجبة المرقعة لباساً فصارت لباس كل اتباعه ولكنه خالف كل
ذلك فعلاً كما انضح مما تقدم . وجمع بين المذاهب الاربعه المالكي والثافعي والحنفي والحنبلي
بالغاء اكثر ما تخلف فيه واخثار بعض آيات من القرآن وفرض على الناس حفظها وتلاوتها
كل صباح وسهل الزواج بتقليل المهر فانه جعل مهر البكر عشرة ريالات ومهر الثيب خمسة
ومن طلب اكثر من ذلك او قيل اكثر من ذلك اخذت امرأته كلها . وابطل ولائم
الاعراس والسكر والرقص واللعب والنسباب ومن خالف ذلك فقصاصه الجلد . وابطل ايضاً
فريضة الحج الى مكة . ومن شك في انه المهدي المنتظر او خالف امراً من اوامره قطعت

يدهُ البني ورجلهُ اليسرى وشاهدان يكفيان لذلك وان لم يوجد شاهدان ادعى ان النبي
 ظهر له في حلم واخبره بجرمة المجرم فيحكم عليه بنير محاكمة . واطل كل كتب السنة
 والتفسير وحرق كل الكتب التي فيها شيء يخالف ما امر به . هذا ما علم به جهاراً اما في بيته
 وبيوت خلفائه وامرائه واقاربهم فلم يرا الا الانعاس في كل ضروب الخلاعة والسكر والملاذ
 ويباتي الكلام على حكم الخليفة عبدالله وهرب سلاتين في الجزء التالي ان شاء الله

اليربوع

اليربوع انواع مختلفة منها الكرجي والانغاني واليركندي والمصري . والمصري اشهرها وهو
 اصغر حجماً من غيره طول جسمه نحو ١٧ سنتيمتراً وطول ذنبه ٣٠ سنتيمتراً ورجلاه
 طويلتان جداً ولم يبق في كل منهما سوى ثلاث اصابع ظاهرة ويداها قصيرتان واذناه
 كبيرتان كما ترى في هذا الشكل . ظهره منجاني وبطنه ابيض وعينه كبيرتان مستديرتان
 وفي رأس ذنبه شعر اسنله اسود واعلاه ابيض



ويوجد اليربوع المصري من بلاد العرب الى اران في بلاد الجزائر ويسمى اليربوع ذا
 الساقين لان يديه لا تظهران . وهو يشب وثباً لقصرها ويسكن القفار الرملية القليلة النبات
 حيث القطا والقبر الرمي ولونه مثل لون الرمال التي بقم فيها فلا يرى الا نادراً مع انه
 كثير جداً . وهو ليلى يخرج قبل الشمس ويسمى في طلب رزقه ثم يعود الى حجره ويقم
 عند باب ولو كانت الشمس مشرقة ويحضر حجره يديه واسنانه ويكون للحجر اربعة ابواب
 في الغالب . ويقول كتاب العرب ان جماعة اليرابيع تعاون كلها في حفر الحجر الواحد .